حاجى بابا فى انكلترا

تأليف جيمز موير

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل الرابع والأربعون

ولى العهد يزور السفير

تقرر أن يزورنا ولى العهد، وتحدد لذلك موعد بعيد يدل على أن اليوم إنما اختير ليمنه . ذلك بالرغم من تأكيد المترجم أن الأيام كلها سواء عند الانكليز . ولكن أكاذيب الانكليز كانت تظهر لنا شيئاً فشيئاً بشكل واضح . وقبل موعد الزيارة كتبت عنها جميع الصحف ، وقد اهتم أهل المدينة بهذا الخبر كأنهم لم يسمعوا قبل الآن أقل شيء عن الفارسيين . وأرسل السفير الدعوة إلى عدد كبير من الناس كطلبهم

والغريب فى أمر الانكليز أن أحدهم يغضب إذا لم تصله دعوة كان ينتظرها ، وأنه يبنى حقه فى طلب الدعوة على أتفه الأسباب ، كأن يكون له ابن عم فى فارس، أو أن يكون قد رأى السفير فى إحدى الحفلات الخاصة . واحتجت إحدى السيدات بأنه مادام الفارسيون يسمحون بتعدد الزوجات فالواجب أن يكون عدد المدعوات فى الحفلات أكبر من عدد المدعوين

وكانت قد انقضت مدة لم أسمع فيها شيئاً عن أسرة هوج سوى ما يأتى به السفير بين حين وحين من السخرية بى والاستهزاء بتعمد ذكرهم وبحادثتى فى أمر الزواج

وقبل الدعوة بيوم واحد جاءت زوجة المسترهوج وبنتها بيسى إلى دار السفارة لتقابلنى، وخاطبتنى كالعادة كأنه لم يحدث شيء . وكانت تخاطبنى بلقب الأمير وعاتبتنى على عدم الزيارة، ثم تبين أن المطلوب هو إرسال الدعوة إلى حفلة ولى العهد ، ولكى تضمن الخبيثة بيسى إجابة هذا الطلب ضغطت على أصبعى الخنصر وهى تودعنى عند الانصراف . فعاودنى الأمل فى مهرها وفيها، ووعدتها بأن أحصل على دعوة من السفير وإن كنت أثق بأن السفير سيسخر بى عند ما أطلب هذه الدعوة

بيد أنه لم يفعل ذلك ، بل وقع الدعوة إليها بغير تردد فأرسلتها إليها . لكنه فى تلك اللحظة جاء عشرات من الناس يطلبون إلىّ التوسط فى إرسال دعوة إليهم ، فاعتذرت بأن التذاكر وزعت كلها

وأخيراً جاء يوم الزيارة ، فدهشت من البساطة التى يعامل بها ولى العهد فى هذه البلاد ، لأن ولى العهد عندنا إن زار منزلاً من المنازل فرشت له الطريق بالأبسطة ، وعمرات المنزل بالوسائد الحريرية المغطاة بالورود ، ويعطى عند دخوله من الباب مائة جنيه وتوقد له الشموع ويستعد الطباخون قبل يوم الوليمة بأسبوع على الأقل فى تهيئة الحلوى وغيرها . أما هنا فلا يكاد يعمل أى شيء قبل ساعة الزيارة

ولما تشاورنا فيما بيننا فيما نكرم به الأمير فى أثناء الزيارة قال لى تقى الدين : إن خدم السفارة وموظفيها يجب أن يصطفوا عند الباب ويسجدوا أمام الأمير

فعارض محمد بك أشد المعارضة فى هذا الاقتراح وأكد أنه ما ينبغى للمسلم أن يسجد لنصرانى

واقترح سعيد ومحبوب أن تغنى الشركسية وترقص على الطمبور كما تفعل الجوارى عندنا أمام الشاه ...

فاعترض السفير على ذلك خوفاً من بلوغ الخبر إلى سمع زوجته، واقترح أن يقوم حسن طباخ السفارة أمام ولى العهد ببعض الألعاب الفارسية مثل أكل النار وبلع قطع الزجاج والمسامير ، وأن ينشد محمد بك نحو ألفى بيت من الشاهنامة ، ويقوم تقى الدين ببعض الألعاب البهلوانية . ولكن المترجم قال : إن ولى العهد لا يفهم اللغة الفارسية فلا معنى لإنشاده ألفى البيت ، وإنه بدلاً من باقى الألعاب يحسن أن نأتى بفرقة موسيقية من الانكليز رجالاً ونساء ليكون الأمر ملائماً

وقبل الحفلة وضع حول صورة الشاه إطار من الورد وحول المنزل كله إطار من الأنوار

وبدأ المدعوون يصلون واحداً بعد واحد ونحن فى استقبالهم على الجانبين ، وقد أدهشتنا وفرة الجمال فى الصغيرات من الانكليز وكثرة العجائز منهن . ورأينا بين المقبلين فى عربة ثلاث نساء على رؤوسهن عمائم كبيرة كالتى يلبسها عندنا شيخ الاسلام

ولما دنت العربة عرفتهن ، وهن زوجة المستر هوج وبنتاها ، وقدمن تذكرة الدعوة وعليها بخطى باللغة الانكليزية عنوان كتبته على قدر معرفتى بتلك اللغة وهو (الأم هوج ورأسان من البنات) وقد رأيتهن يبتسمن وهن يقدمنها فأدركت أن كتابته بهذا الشكل غير مألوفة . وقد صافحنى ودخلن ، وما كنت نفسى فلم أذهب معهن ورأيت نظرات الناس إليهن تشف عن دهشة من كبر العمائم، وبعد دخولهن إلى القاعة الكبرى بدقائق دخلت فوجدتهن يقدمن التذكرة إلى الكثيرين والكثيرات ، وكل من اطلع عليها ضحك

وفى وسط هذا الموقف علت الصيحات مؤذنة بقدوم ولى العهد ، فذهب السفير والمترجم لاستقباله

وعند ما دخل سمو الأمير اجتمع الانكليز الذين فى القاعة حوله على شكل دائرة وأحنوا رؤوسهم وكانت هذه هى كل التحية التى حيوا بها ولى عهدهم. وقد تذكرت عند رؤيته عظم الفارق بين ولى العهد عندنا وولى العهد عندهم، فالأول ينظر النظرة المخيفة فترتعد الفرائص ولا يجرؤ أحد على الدنو منه ووراء كلمته العقوبة ووراء إشارته الجلاد . أما الثانى فنظراته فاترة وإشاراته رقيقة، وإن ابتعث فى النفس شعوراً فهو الحب دون الخوف . وقد كان يمشى ببطء وهوادة ويبتسم لكل من يمر به ويصافحه

ولما نظر إلى لابسات العمائم الكبيرة ابتسم وسأل السفير عنهن فقدمت له الأم تلك التذكرة المكتوبة بخطى فسلمها إلى المترجم وقرأها هذا بصوت عال : « الأم هوج ورأسان من البنات » فابتسم جميع من سمعوا إلا الأمير فان تربيته السامية منعته عن تشجيع المبتسمين فى هذا الموقف

وقد احتملت النصة كأحسن ما يكون فى وسع إنسان أن يحتملها . ولاحظت أن الأم هوج مغتبطة مسرورة بعمامتها وكأنها تقول بعينيها : « من لم ينظرنى إلى الآن فلينظرنى »

أما كريستاها فقد لاحظت خجلهما وكأن إحداهما تريد أن تخسف بها الأرض

واتفقنا نحن أعضاء السفارة على أن الحفلات

فى بلادنا أروع وأفخم من هذه الحفلات التى لا معنى لها، فقد سادصمت عميق بالرغم من كثرة الموجودين فكاد كل إنسان يشعر بأن الغرفة خالية مع أنه لو كان نصف هذا العدد من الفارسيين مجتمعاً فى مكان واحد لسمعت عن بعد منه ضجة تصم الآذان

ثم أكلنا وانصرف كل المدعوين

وفى الصباح التالى دعانا السفير ليتحدث معنا عن اجتماع الأمس لكى يعرف آراءنا فيه . وقال : «لقد رأيتم ليلة الأمس هؤلاء الانكليز ولست أعرف هل شعوركم نحوهم مثل شعورى ؟ ولكنى أقول لكم إنه كلما مر بى يوم بينهم زاد ميلى إلى اعتياد عاداتهم، فان أخص ما فيهم من الصفات عدم الزهو وعدم الميل للضوضاء . هل رأيتم ولى العهد ؟ إنه «عباس ميرزا» هذه البلاد، وإننى أقسم أنه لم يتسلط إنسان على قلب إنسان كما تسلط هذا الأمير على قلبى، فقد جعلنى عبداً رقيقاً له » فقال محمد بك : « نعم إنه متواضع إلى درجة لا يصدقها أى فارسى »

قال السفير : « هل سمعتم حديثه ؟ لقد قال كلاماً جعل قلبى يخفق من الضحك . ولكنه الفكاهية غريزة لا تنضب . ولقد أحسن الشاه باختيارى ممثلا له فى هذه البلاد، ولولا ذلك لضحك الانكليز من الفارسيين جميعاً . هبوا أنه اختار ذلك التركي الأحمق عسكر خان ، أوذلك الحيوان فرج الله خان، أوذلك المجنون عبدالقاسم خان، فان الانكليز كانوا يحتقرون الجنس الفارسى أشد احتقار

قلت : « نعم نعم ! ماشاء الله ، هل فى الدنيا ذكاء كذكائك ؟ هل فى الدنيا عقل مثل عقلك ؟ الحمد لله الذى بيض بك وجوهنا فى هذه البلاد فانه لولاك لكانت وجوهنا سوداء »

قال السفير : « صدقت يا حاجى بابا : هل سمعتنى وأنا أمازح الأمير ؟ لقد أضحكته أكثر مما ضحك فى أى يوم آخر » فقلنا جميعاً : « بارك الله فيكم »

قال السفير : « لقد كان فى حاشيته ملك مخلوع وهذا الملك سمين جداً فقلت له : ماشاء الله! إن المساكين يسمنون فى ضيافتكم . فضحك وضحك الملك المخلوع نفسه واستحسن الجميع هذه النكتة

وكنا نتكلم فقال الأمير إن الخيول الانكليزية جيدة، وإن النساء الانكليزيات جيدات . واستمر يتكلم على هذا المنوال ، فقلت له إن كل شىء فى انكلترا جيد إلا الرجال ، فانهم يسألون أسئلة كثيرة . فضحك الأمير وأعجبته هذه النكتة أيضاً واعترف بأن الانكليز يكثرون من الأسئلة »

فقال محمد بك : « نعم وهم يسألون أسئلة غريبة جداً؛ فمن ذلك أن شاباً انكليزياً سألني هل يحسن الفارسيون ركوب الخيل؟ فقلت له إنه ليس فى العالم من يساميهم فى ذلك . وسألنى هل نحسن المقاتلة ؟ فقلت له: سل عنا التركمان والأكراد، فان أحدنا إذا ركب جواده وأمسك سيفه أمكنه اختطاف الأسد من عرينه. فسألني هل اعتاد الفارسيون أن يتكلموا بالصدق ؟ قلت له : إن كان هذا التعبير هو بعض أساليبه فى وصفنا بالكذب فان ذلك ليس من شأنه. ولما رأى أننى غضبت أكد لى أنه لم يقصد شيئاً، ولكنه قرأ فى كتاب قديم أن الفرس لا يحسنون فنون الحرب ولا ركوب الخيل ولا يستطيعون التكلم بالصدق »

وقال تقى الدين الفراش : « لقد قابلت رجلاً آخر يعرف قليلاً من الفارسية ، وسألنى عن نوع رؤوسنا فظننت فى بادئ الأمر أن هذا نوع من

التحية الانكليزية كما تسأل الانسان عن صحته ، ولكنه أفهمني أنه يسأل حقيقة عن دماغي . ولما أذنت له أخذ يجسه بيده ويرى استدارته وتكوره وقد دهشنا من ذلك ، ولكنه أكد لنا أنه قرأ كتاباً عن أدمغة الفارسيين »

وقال أمين المركبات : إن أحد الانكليز سأله لماذا نحني ذيول الخيل وأقدامها ؟ فضحكت منه وقلت : « ولماذا تقصون أنتم ذيول الخيل ؟ »

وقال محبوب : « إن أحد الانكليز طلب إليّ أن أريه الشركسية وقال : إن قوانين هذه البلاد لا تسمح بسجن السيدات . فقلت له : إذهب وقل للسفير ذلك ، فعض أصبعه وذهب »

وقال محمد بك : « وقد سألني انكليزي آخر : هل نعرف اللغة العبرية ؟ فقلت : إننا لسنا يهوداً وإننا نحتقر اليهود ، وإن الكثيرين منا يعرفون اللغة العربية ، ولكن لا يوجد في بلادنا من يعرف العبرية . على أن هذا اللعين أصر على تعلمنا تلك اللغة وأوصاني باتقانها لقربها من اللغات الشرقية . ثم تحدثنا بعد ذلك عن الموازنة بين اللغة الفارسية وبين اللغة الانكليزية ، فقلت : إن قاموس لغتنا يحمل على ثلاثين جملاً ، فسكت ولم يحر جواباً »

ثم قطع السفير الحديث فجأة وسألني : من هن السيدات اللواتي كن يلبسن عمائم مثل قباب المساجد ؟ فقلت في استحياء : هن من أسرة هوج . فضحك السفير وقال : إذا كان لديهن مال فلا بأس من إتمام الزواج ولكن لا تنس مشروع الشركة التي بيننا

فأردت أن أجد مخرجاً من الجواب على ألا أتورط بالقبول ، ووجدت ذلك في إعلان استيائي من المترجم

الفصل الخامس والأربعون

مضى علينا ثمانية شهور في انكلترا وبدأنا نفكر على صورة جدية في العودة إلى إيران ، وأخذ السفير يشكو من أن المهمة التي جئنا من أجلها لم تتم لأننا لم نعقد معاهدات ولا اتفاقيات على طول ما أقمنا بهذه البلاد ، ووثق من خداع المترجم الذي كان قد أفهمه من قبل أنه سيتوسط في عقد أية اتفاقية ليكون الشاه راضياً عنا . ولما اشتد غيظ السفير عليه استدعاه يوماً وقال له محتدًّا : « يجب أن تفهم وتبلغ وزراء دولتك أن شاهنا عظيم ودولتنا عظيمة . إننا رجال ولنا أموال وعندنا خيول ولكنكم ماطلتمونا هنا في المعاهدات والاتفاقيات فبرهنتم على أنكم لا تعرفون الفارسيين . إن إيران تستطيع إذا شاءت أن تبتلع البلاد الأخرى . إنني أريد أن أعود ، ولكنني لا أعود قبل أن أعقد معاهدة وإلا فإن زملائي الوزراء هناك يلوون أنوفهم حين يبصرونني ويميل عمائمهم نحو جانب واحد . فأخبرني يا أخي بكلمة واحدة : هل تريدون عقد معاهدة أم لا ؟ »

فأجابه المترجم ببروده العادي قائلاً : « إن التعامل بين دولتين ليس مثل التعامل بين اثنين من أفراد الناس ، وإن وزير الخارجية الانكليزية ليس متفرغاً للسفارة الفارسية ، بل بينه وبين السفراء والقناصل من جميع بلدان العالم مفاوضات ، وأن السفير الفارسي إذا انتظر قليلاً فانه سيحصل بغير شك على المعاهدة التي يطلبها لأنها ستكون في مصلحة الدولتين »

فأعاد السفير ما قاله ألف مرة من قبل وهو أن الشاه مستبد وأنه يقطع رؤوس الناس إن قضت الضرورة

وقال : « أرجو أن تذهب إلى وزير الخارجية وتقسم له أنى سأموت من الحزن ، وأن دخان هذه المدينة يضايق أنفاسى ويسمم دمى ، فليعجل بعقد المعاهدات حتى أعود . فأكد المترجم أنه سيقول لوزير الخارجية ذلك وسيخبرنا بأشياء كان أهملها من قبل . وهذا هو عذره القديم الذى طالما ردده

قال السفير : « ما هى هذه الأشياء ولماذا لم تقلها من قبل . إنكم قتلتمونى بطول الانتظار وأنا فارسى أعرف الدنيا وما فيها وليس فى وسعك أن تخدعنى بالكلام المعسول »

فقال المترجم : « لقد عرض مشروع المعاهدة على البرلمان الانكليزى وتلقاه بالترحيب ولم يخالفه إلا عضو واحد من أعضاء المعارضة

قلت : « المعارضة ! إن أصحاب المعارضة ثوار على ما أظن ! إنهم كالخوارج عندنا . أليس كذلك ؟ »

فقال المترجم : « ثوار ! لماذا ؟ قد يختلف رأى الانسان عن رأى غيره ولا يكون ثائراً »

قلت : « إننا لانفهم ذلك فى فارس فان الشاه يرفض أن يكون لأى إنسان رأى غير رأى جلالته؛ وإننى أنصح لك أن تشير على ملك الانكليز أن يعامل قبيلة المعارضة كما كان الشاه عباس يعامل الأرمن فيقتل البعض ويشرد البعض إلى أقاصى البلاد

قال السفير : « لقد تكلمت يا حاجى بابا كلاماً حسناً ووافق رأيك رأيى »

وسكت المترجم ولكن كان بادياً عليه أن لديه كلاماً كثيراً ولكنه عن عمد لا يريد أن يتكلم . ثم دعا المترجم السفير إلى زيارة مصرف انكليزى ليرى فريقاً آخر من رعايا شاه الفرنجستان . فوافق السفير ولكنه قال إنه سئم ممن يزورهم ويزورونه . ثم أمر محمد بك بأن يستعد لمرافقته

ويقع القصر الذى زاروه على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة، وله حديقة غناء لا يشك من يراها فى أن هذا القصر كان مملوكا لأمير فارسي زار انكلترا فى وقت من الأوقات لأنه أشبه بمبانى الفارسيين

وقد استقبل السفير عند بابه رجل سمين من الطراز الذى يسمونه فى انكلترا رجال الأعمال

وأدرك محمد بك بفطنته وذكائه من مجرد النظر إلى هذا الرجل أنه يهودى . ولكننى قلت : « يستحيل أن يكون ذلك يا محمد بك لأن المترجم لا يجرؤ على أن يدنس شرف الشاه بأن يقود ممثله إلى منزل رجل يهودى

لكن الرجل اعترف لما سألناه بأنه من هذا الجنس اللعين . وقال محمد بك : « إذن ففى هذه البلاد يهود كما هى الحال فى فارس . ولكن اليهود هنا أغنياء . أنظروا إلى فخامة هذا القصر ! أقسم بذقن الامام على لو كان عندنا يهود بهذه الدرجة من الثروة لكنت أول من يبصق على وجوههم وينهب من أموالهم ما تصل اليد إليه

وقال محمد بك محتداً : « لقد أهاننا المترجم إذ جاء بنا إلى هنا وسأحرق قبر أبيه » فسررت جداً من سنوح الفرصة للانتقام من المترجم . وقلت : « لا بد من ذلك ! لا بد من ذلك ! »

ولما عدنا إلى دار السفارة جلسنا فى حلقة وأخذنا نقرأ ورد : « أستغفر الله ! استغفر الله ! » حتى يتوب الله علينا من مقابلة اليهود

لما دخلنا هذا القصر قال لى محمد بك : « يجب أن نعامل هذا اليهودى بمثل ما نعامل به اليهود عندنا »

فقلت : « انتظر حتى نسمع كلامه أولاً »

ولما استقربنا الجلوس كان أول ما قاله اليهودى: « هل أتيتم من فارس بجواهر وأحجار كريمة ؟ » فقلت باللغة الانكليزية : « لا . لم نأت بشيء من ذلك. أظنك تريد أن تسرقنا » فضحك ملء شدقيه واعتبر قولي مزاحاً .

ثم سألنا هل لدينا عملة أجنبية نريد استبدالها بعملة انكليزية ؟ فخشيت أن يصفعه محمد بك . وقلت لأمنعه عن ذلك : « إسمع ياأخى ! إننا لا نعاملك فأنت يهودى ونحن مسلمون »

وفى هذه اللحظة دخل رجل آخر لا يبد وعليه أنه يهودى . وبدأ حديثه كعادة الانكليز بالكلام عن الجو . وسألنا عما إذا كان عندنا مثل هذه البيوت والحدائق ؟ فقلت: إن كان عندنا مثل هذه البيوت فانها لا تكون مملوكة لليهود كما هى الحال فى انكلترا»

قال : « ربما كنتم تكرهون اليهود ؟ » فقلت : « نحن نكره النصارى ونكره الأتراك . ولكن اليهود أقبح من كل هؤلاء » فضحك الرجل: وقال « أنا لست يهودياً ولكنى تاجر »

قلت : « تاجر ! هل التجارة إحدى الأديان فى هذه البلاد ؟ فقال : « كلا ولكنها سكر وبن وفلفل وخردل »

قلت : لمحمد بك : « هذا بدال ! ما شاء الله ! إن المترجم يجمعنا بهذه الأوساط ويدعى أنه عرفنا بأصحاب المصارف » ثم سألته : هل أنت غنى ؟ فقال إن الانكليز يضربون الأمثال بغنى اليهود فيقولون فلان أغنى من يهودى، ولكن بما أنكم تكرهون اليهود فإننا بدالون »

قلت له : « يجب أن تعد نفسك سعيداً لأنك مع يهوديتك موجود فى انكلترا . لأنك لو كنت فى فارس لجعل الشاه مالك ملكا للجميع . وقد كان الشاه عباس يلزم كل يهودى ببناء فندق أو مسجد أو تكية »

قال اليهودى : « نحن هنا ندفع الضرائب فهل تريد أن تقترح فرض ضريبة جديدة علينا ؟ »

وفى هذا الحين كان الغداء قد أعد وحضره خلق كثير، فأكلنا على كره من طعام اليهود؛ والحق أن طعامهم شهى لا يجيد مثله أمهر الطهاة فى تركيا . وكان السفير جالساً بين يهودى ويهودية . وكنت أنا ومحمد بك لا نملك نفسينا من الغضب لهذا السبب وتساءلنا ماذا عسى أن يقوله الشاه لو علم أن سفيره أصيب بهذه اللوثة ونسى أنه سفير ونسى أنه مسلم من أجل أكلة فى بيت رجل يهودى ؟

وقد نسى محمد بك تدينه فصار يناقل السفير ويتناول القطعة بعد القطعة من لحم الخنزير حتى لم يبق على هذا الإمام المجتهد ليصير انكليزياً غير أن يحلق لحيته وشاربيه

ولما عدنا من الوليمة أعربنا للسفير وأعرب السفير لنا عن استيائه واستيائنا من تلك الوليمة. ولم تفتنى الفرصة فأوغرت صدره على المترجم ، فوعد بأن يحرق أباه ، وأخذ يمدح القصر وحديقته وإتقان الطعام وحسن الضيافة ، كل ذلك مع الحرص على لعنة اليهود

الفصل السادس والأربعون

نفيس يزور السفير

قضى محمد بك طول الليل فى الاستغفار عن الأوزار التى لحقت به من مؤاكلته اليهود . وفى

صباح اليوم التالى دخل الحمام ليتطهر من أكل لحم الخنزير . وضاعف عدد الصلوات المفروضة ، ولم أحذ حذوه فى ذلك بل استوليت على سمع السفير فلم أزل أستثير غضبه على المترجم لتعريفنا باليهود . وتذاكرنا حوادث هذا الجنس فى بلادنا

وبينما نحن فى هذا الحديث إذ استأذن للزيارة قسيس انكليزى فى كل يد من يديه كتاب . أما أحدهما فهو الانجيل ، وأما الآخر فشىء يقال له كتاب الصلوات

قدمه المترجم الذى لم يزل يقدم لنا أقبح المخلوقات . وقد وجدنا ذلك القسيس أكثر أدباً ووقاراً ممن تعرفنا إليهم إلى الآن . وأحنى رأسه للسفير عدة مرات . وكان المترجم قد طلب إلى السفير أن يستقبله واقفاً فقبل . وبعد تحية قصيرة قدم القسيس الكتابين هدية لسفيرنا فقبلهما . ثم أخذ يتحدث عن الأخلاق بكلام طيب يظهر أنه عندهم مقدمة عادية للتحدث في الدين ، وتكلم عن الله سبحانه كلاماً حسناً جداً ككلام المسلمين . وقد عامله السفير بمنتهى الاحترام والتأدب ، حتى همس محمد بك فى أذنى بأن السفير سيصبح مسيحياً وأنه لا شىء فى العالم أوضح من ذلك . لأن المترجم استحوذ على عقل السفير ولبه . ولم يدع له شيئاً من حرية الاختيار حتى لقد بلغ من سلطانه عليه أن يجمعه باليهود وبالقسس وبالبدالين

وعلمت الشركسية من سعيد ومحبوب بأن سيدها سيغير دينه ، فانزعجت أيما انزعاج لأنها تعلمت فى أثناء المدة التى قضتها معنا تعاليم الدين الاسلامى . وثبت هذا الدين فى نفسها وصارت تقضى طوال أيامها فى الصلاة والتسبيح . وبلغ من شدة انزعاجها أنها خاطبت السفير فى هذا الشأن فجاءنا هائجاً فى اليوم التالى وقال لنا : « من منكم الذى يتهمنى أيها الأوغاد بأننى غيرت دينى ؟ هل أنت ياحمد بك أيها الرجل المنافق ؟ أم أنت ياحاجى بابا أيها الرجل الفاسق ؟ أيكم الذى اتهمنى هذه التهمة ! تكلموا أيها الناس ! »

قال محمد بك : « اننى أقل الناس فى نظرك وفى نظر نفسى أيضاً . لكن ماذا أقول أيها السيد ؟ انك قبلت الكتاب المقدس عند المسيحيين ، وجلست باحترام أمام القسيس كأنك أمام شيخ الاسلام ففهمت أنك غيرت دينك »

قال السفير : « أهذا جوابك ياطويل اللحية ؟ إن الشاه أرسلك معى لتقول لى ولمن يزورونى كلمات من التحية لا لزوم لها فى هذه البلاد ، ولم يرسلك لتراقب سلوكى . إن الانكليز لا يعرفون التشريفات الفارسية . وليس لوجودك ضرورة بيننا الآن . فإما أن تسلك معنا مسلكاً حسناً وإما أن تعود إلى فارس »

فقال محمد بك : « نعم أعود إن أردت أن أعود فاننى مسلم ولا أطيق أن أراك وأنت مسلم تغير دينك دون أن أتكلم . اسأل عنى حاجى بابا فهو يعرف اننى أعمل كل شىء فى سبيل الاسلام »

قال السفير : « أسأل عنك حاجى بابا ؟ إننى أسأل حاجى بابا أولاً عن نفسه »

ثم التفت إلى وقال : « أخبرنى كيف أصبحت تغار فجأة على الاسلام ومن أين جاءتك هذه الغيرة ؟ أمن الترك أم من الأكراد ؟ لقد عشت خاطئاً ثم تأتى الآن وتزعم أنك شيخ من شيوخ الاسلام ؟ »

فقلت : « يا سعادة السفير إن محمد بك صدق فيما يقول ، وإن أى مسلم لينزعج حين يرى مسلماً

آخر يستقبل قسيساً بمثل الحفاوة التي استقبلته بها . فضلاً عن قبولك ضيافة اليهود . ولقد تناولت الإنجيل كما يتناول أحدنا القرآن »

قال محمد بك وقد تملكه الحماس الديني عند ما سمع جوابي : « الحق يقال يا سعادة السفير؛ فلا تغضب علينا إذا قلنا إنك نصراني »

فغضب السفير وقال : « أبهذه الوقاحة تخاطبني ؟ إنني ممثل الشاه؛ ولو كان الشاه حاضراً لقطع الآن رأسك جزاء هذه الوقاحة . إضربوه ! اضربه يا حاجي بابا !

فلم يعد في وسعنا نحن أعضاء السفارة إلا أن نوسعه ضرباً . وبالرغم من أنني صديقه وشريكه في تهمته فقد كان من واجبي أن أنفذ أمر الرئيس وأشترك في الضرب . وقد كان في فم محمد بك سنان بارزتان شكلهما قبيح كأسنان الحمار ، وكانتا تسببان له لثغة دميمة ، فانتهزت هذه الفرصة ولم أزل أضربه عليهما حتى كسرتهما

وكان محمد بك يصرخ صرخات الغضب ويتوعد بالانتقام فيضطرنا بذلك إلى الزيادة . ثم أمر السفير بالكف عنه فتركناه . وعاتبني بعد ذلك فاعتذرت إليه بأني لم أكن أريد إلا إراحته من هاتين السنين ، وبأن النتيجة كانت حسنة على كل حال لانتهاء النزاع بينه وبين السفير . فقال محمد بك إنه يحمد الله على كسر سنيه لأن ذلك فسّر منامه الذي كان يتوجس منه على صورة مرضية . وذلك لأنه كان رأى في الحلم أن سنين له وقعتا . وظن أن تفسير المنام هو موت اثنين من أقاربه . أما وقد جاء تفسيره على كسر سنين حقيقيتين فإنه أصبح الآن مطمئناً على أقاربه

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلال
أبو علي عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أخرى »

يظهر في نهاية العام

مؤلفات
الأستاذ محمد كامل حجاج

ص
٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والايطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)
١٨ نباتات الزينة العشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

ثم تكلمنا عن السبب فيما تقدم فاتفق رأينا على أن المعيشة فى هذه البلاد أصل المصائب كلها . وعلى أنه لا يستطيع مسلم فى بلاد النصارى أن يتجنب مؤاكلة اليهود ومقابلة القسس

ثم صالحه السفير . ولما عدنا إلى الحديث عن بلادنا وحنيننا إلى العودة إليها قال السفير : « إن زوجتى أصبحت الآن عجوزاً لطول غيبتى عنها ، وإن شاء الله متى عدت إلى فارس استبدلت بها غيرها من صغيرات السن »

فقلت : « فى اعتقادى ياسعادة السفير أن معاشرة السيدات المتقدمات فى العمر خير من معاشرة الطائشات . ويظهر أن لكل عمر حالات خاصة وأن الإنسان لا يستريح إلى من لم تكن مقاربة له فى العمر . ويظهر لذلك أن الانكليز محقون فى آرائهم فى الزواج »

قال السفير : « ما هذه الفلسفة يا حاجى بابا ؟ إن العادات التى تصلح فى بلادنا لا تصلح فى بلادهم ؛ فهم قوم يخالفوننا فى كل شىء حتى فى مظهر الشمس » فوافقته على ذلك وآمنت بأن زواج الكهل من الفتاة الصغيرة غير جائز هنا ولكنه جائز فى فارس

الفصل السابع والأربعون

الاستحمام فى البركة

كنا جالسين مع السفير فى يوم من الأيام بدار السفارة فجاءنا المترجم ساخطاً متبرماً ينبئنا بحدوث مصاعب جديدة بين الانكليز وبين الفارسيين . ففزع السفير وقال المترجم : « بحق علىّ عليه السلام إلا أخبرتنى بالذى حدث . هل وصل إليكم خبر من إيران . هل مات الشاه ؟ »

فقال : « لم يحدث شىء فى فارس وإنما أحدث الفارسيون ضجة فى شوارع لوندرا »

قال السفير : « الحمد لله لقد كنت أظن نكبة حدثت من شر النكبات »

فقال المترجم : « نعم لقد حدث شىء وهو يتعلق بكم » فتململ السفير وألقى عليه ألف سؤال فى آن واحد

قال المترجم : « إن الذى حدث كاد يؤدى إلى أمور شديدة الخطر ولكنه الآن قد وقف عند حد ، وليس من المنتظر أن تترتب عليه نتيجة . أما الأمر فان بعض موظفى السفارة ذهبوا إلى حديقة عامة فى بيكاديللي ، وهذه الحديقة يؤمها خلق كثير للتنزه فى كل يوم ، وفى وسط هذه الحديقة بركة صناعية ، فما كان من أصحابنا الفارسيين إلا أن خلعوا ثيابهم ، ونزلوا للاستحمام فى هذه البركة . فازدحم الناس حولهم ، ورجمهم البعض بالأحجار . فغضب أحد الفارسيين الواقفين على الشاطىء ، واستل خنجره يريد أن يطعن به أحد الانكليز فأخذوا منه الخنجر ، وتوسط بعض العقلاء فانتهت المسألة بسلام ، ولكن الأمر ما كان يقف عند هذا الحد لو قتل موظفو السفارة أحد الانكليز

اغتاظ السفير عند ما سمع هذه القصة وسألنا عمن فعل ذلك ، فعرف أن اللذين نزلا فى الماء هما سعيد وتقى الدين الفراش . وقد اعترفا بذلك غير معتذرين لاعتقادهما أنهما لم يفعلا ما يلامان عليه

قال تقى الدين : « لقد كنا نسير وكان الجو جميلاً ولم نستحم منذ سافرنا من أزمير والماء ماء الله فنزلنا للاستحمام فيه وليس من حق أحد أن يمنعنا عن ذلك . وإذا كان للانكليز عادات تخالف عاداتنا

فما عليهم إلا أن يعلمونا هذه العادات ونحن نحترمها ، ولكنهم بدل أن يفعلوا ذلك رجمونا بالأحجار ونحن عزايا .

وقال سعيد : « إذا كان الاستحمام ذنبا فى هذه البلاد فقد كان عليهم أن يقولوا لنا ذلك لا أن يفعلوا ما فعلوه »

فتغلبت روح الانصاف على السفير وقال متهكماً : « ما شاء الله ! متى أصبحت فيلسوفاً ياسعيد ؟ انك الآن تتكلم مثل كلام لقمان، ولكن من الذى استل خنجره ؟ »

قال سعيد : « هو فريدون حلاق السفارة »

وقال فريدون : « إننى لم أستل خنجرى ولكنى أردت الدفاع عن نفسى وعن إخوانى بالموسى »

قال السفير وقد غلبت عليه النخوة الفارسية: « مرحى لك ! مرحى لك ياحلاق ! لماذا لم يفعل الباقون مثلك ؟ إنك شجاع وإن كنت قد أغضبت الانكليز !

ثم التفت إلى المترجم وقال: « ها أنت ذا تسمع إجاباتهم ياأخى وهى إجابات معقولة . وأنتم تتباهون بالعدل . والعدل لا يختلف فى بلد عنه فى بلد آخر. فاذا رأيت أن أقطع لك آذانهم فانك لا تعود إلى منزلك إلا وآذانهم فى جيبك . إن كنت تريد معاقبتهم فتكلم وإن كانت حكومتك تريد رقابهم فانى أقطعها قبل أن تقوم من مكانك

فأخذ المترجم يتكلم عن العدل كلاماً فارغاً لم نفهم منه شيئاً، وأخيراً قال إنه لا يريد معاقبة أحد، وإنما يريد ألا يفعلوا شيئاً قبل أن يتبينوا هل هو موافق لعادات البلاد

فابتسم السفير وأعجبه هذا القول وقال ليلزم المترجم الحجة : « ولكنكم تباهون بالحرية فهل تستطيع أن تخبرنى كيف تفهمون تلك الحرية ؟ إن الرجلين من الفقراء ولا يستطيعان دفع الأجور الغالية فى حماماتكم . ورأيا ماء من ماء الله فماذا يمنعهم من الاستحمام ؟ الحق أن الحرية مكفولة فى الشرق وليس عندكم شىء من الحرية »

ويظهر أن الكلام أقنع المترجم فلم يرد عليه بحرف

ولما خرج المترجم رفع السفير يديه إلى السماء وقال « إن وجودى فى هذه البلاد سيقتلنى بلا شك . لقد كانت الساعة التى غادرت فيها بلادى ساعة مشئومة » ثم التفت إلى موظفى السفارة وقال : « إن وجودكم معى يزيد من تنغيص حياتى فإنه لو لم يكن من الفارسيين أحد غيرى فى بلاد الفرنجستان لما وجد الانكليز ما ينتقدوننا عليه . ولكن أحدكم يمشى فى الطرقات وكل همه أن يتزوج من بنات الناس والآخر يستحم فى الحدائق العامة . متى يمن الله علينا بالعودة إلى إيران ؟ إن بلادنا هى البلاد التى نستطيع الحياة فيها، فهناك يطمئن الرجل على أهل بيته، وهناك يتمتع بحرارة الشمس وبوجه الشاه »

فقلنا جميعاً : « نعم نعم يا سعادة السفير أطال الله بقاء الشاه وبقاءكم »

قال السفير : « لو أن هؤلاء الوزراء الانكليز — وأسأل الله أن يحرق قبور آبائهم — ردوا على خطابات الشاه ووزرائه فأعطونا المعاهدات والاتفاقيات التى نطلبها لمددنا جميعاً فى الحال . وإذا كنت يا حاجى بابا تأخذ كل هؤلاء الأوغاد وتعود بهم إلى فارس فإنى أصر بالبقاء هنا مع تابعين فقط »

لم أسترح لهذه الكلمات لأنى لا أريد أن أعود إلى فارس بعد موت رئيس الوزارة الذى كان يحمينى .

ولكننى قلت فى نفسى إذا أصر السفير على عودتى فانى أعود واثقاً من رضى الشاه فهو قد كلفنى قبل مجيئ إلى هذه البلاد بأن أدرس اللغة الانكليزية لأترجم كتبها إلى الفارسية وها أنا ذا قد صرت أستاذاً فيها ومتى عدت إلى فارس ترجمت مؤلفاتها كتاباً كتاباً

الفصل الثامن والأربعون

الشركسية

رأى السفير بعد ذلك أن يسكن وحده ويتركنى أسكن مع سائر أعضاء السفارة ؛ وكان الذى استثار حيرته هو أمر الشركسية فقد كان بعضنا رقيباً على البعض مدة وجودها معنا . وكان السفير مطمئناً من هذه الناحية . وقد كان من الواضح أنه لا يثق بأى واحد منا . ولكن ريبته فى سعيد ومحبوب كانت أقل من ريبته فى سائر أعضاء السفارة . لكن الشركسية نفسها ما كانت تدعو إلى الريبة لأنها برهنت مدة وجودها معنا على أنها مسلمة، حريصة فلم تخرج قط من المنزل ولم تفتح قط نافذة الغرفة التى هى فيها ولم تترك فرضاً ولا سنة

حدث فى يوم من الأيام أن جاء السفير مهتاجاً محتداً فسبّ ولعن سعيداً ومحبوباً لأنه سمع من أحد الانكليز أنه رأى الشركسية بالقرب من النافذة ورأى معها هذين الرقيقين

ناداها السفير ساعة دخل السفارة وقال : أين كنتما أيها الوغدان ؟

— « كنا نائمين »

— « وأين دلفريب ؟ »

— « نائمة أيضاً »

— « ألم تكونا معها بالنهار بالقرب من النافذة ؟ »

فارتبكا . وقال سعيد : « لقد كانت مريضة وأغمى عليها فنقلناها إلى مقربة من النافذة لتستنشق الهواء .

قال السفير : « أقسم برأس الشاه أنكما كاذبان . إن جارنا الانكليزى أخبرنى أنه رأى نافذة الدار مفتوحة على غير العادة . ورآها ممكما . والانكليز فى مثل هذا الشأن لا يكذبون

فنظر كل من الرقيقين إلى الآخر ولزما الصمت . ثم قال محبوب : « لقد كانت مريضة طول اليوم وكانت تبكى وتشكو الصداع ولم نفتح النافذة إلا عند ما أغمى عليها »

فصاح السفير : « ومن الذى أذن لك بفتح النافذة أيها المجنون ؟ »

قال سعيد : « لا ضرر فيما فعلناه فإنما فتحنا النافذة لكى تشق . فقال السفير : « لقد كان موتها أفضل من هذه الفضيحة »

ثم طردهما وظل طول اليوم مهتاجاً . وفى اليوم التالى عدنا إلى الكلام عن عودتنا إلى طهران . واستقر رأى السفير على أن يعيدنا ويبقى هو حتى يتم عقد المعاهدات والاتفاقيات . فربطنا أمتعتنا وهيأنا أمورنا ، وكان أهم شىء فى نظرنا هو وفاء الديون التى علينا

ولما أعلن أننا سنعود هرع عشرات من الرجال

والنساء إلى دار السفارة فى يد كل منهم قطعة من الورق يقال لها قائمة . وطلبوا إلى السفير دفع المبالغ المرقومة على هذا الورق . فانزعج السفير وسب ولعن ولو كنا فى فارس لكان الأمر هيناً لأنه يسهل التخلص هناك من الدائنين بطردهم أو بعدهم وضربهم على أرجلهم حتى يتوبوا عن المطالبة . أما هنا فمن الذى يستطيع أن يضرب بائع الدقيق وبائع الزيت وبائع التبغ ؟ إن أمثال هؤلاء يعدون فى بلادنا من حثالة الناس ولكنهم هنا من الوجهاء ، وربما أدى ضرب أحدهم إلى إعلان حرب أو نشوب ثورة ، وهم لا يقبلون المجادلة فى الأسعار التى يكتبونها كأن كلامهم منزل من عند الله فاستجرنا منهم بالمترجم ، وقد وجدناه مثلهم ضيق العقل فيما يتعلق بأمر المساومة

ومن المصائب التى ابتلينا بها رجل كان السفير كلفه بتصوير صورة زيتية لا يتكلف زيتها والفرشاة التى اشتغل بها بضعة قروش ولكنه طلب أكثر من مائة جنيه ، ولست أدرى بماذا يستحل هذا المبلغ الكبير

لكن الانكليز متى تكلموا فى أمر الأجور تكلموا بغير عقل ، ولقد قال السفير للمصور لكى يقنعه : إن دهن حوائط منزل كبير بالزيت لا يتكلف من المال نصف ما يطلبه لصنع صورته الصغيرة الزيتية . فأبى المصور أن يقتنع أو أن يفهم

سندباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الإنسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

الفصل التاسع والاربعون

فريدون الحلو

كان فى جملة القوائم التى قدمت لنا قائمة عددنا تقديمها إلينا نكبة أحدثها سوء الطالع فكانت عقوبة على خروجنا من أزمير فى ساعة غير ميمونة

بينما الأمير يستقبل الدائنين ذوى القوائم إذ جاءنا رجل معه امرأة يظهر على وجهها الاجرام ورجل ثالث يرتدى ثوباً أسود اللون فى نهاية القذارة. وكان الرجل الأخير هو الذى يتكلم. وقد أطلق على نفسه اسم وكيل أشغال وقال على لسان الرجل الذى استدعاه: إن له بنتاً هى التى جاءت معهما، وإن فريدون حلاق السفارة أغواها ووعدها بالزواج ثم تركها. وإنا لذلك نطلب ألف جنيه تعويضاً لتخليه عنها.

وقد كان فريدون معتاداً مثل هذه الأمور فى فارس ولكننا ما كنا نتوقع أن تبدر منه بادرة من هذا القبيل فى بلاد القوائم التى لا تقبل المساومة

ولما علمنا هذه الحقيقة عنه عرفنا علة تفوقه علينا فى اللغة الانكليزية ونبوغه فى ضروب المجاملة بها

وكان أبو الفتاة تاجر صابون وهو من عملاء السفارة. وكانت معاملته معنا سبباً فى تعرف الحلاق عليه لأنه زعم أنه يريد أن يتعلم عليه صنع الصابون، فقبل الرجل تعليمه ودعاه إلى منزله مراراً من أجل هذا السبب. وكانت هذه الزيارات المنزلية سبباً فى توطيد الصداقة مع ابنته. وتعلم تاجر الصابون من حلاقنا صبغ الشعر على الطريقة الفارسية المتقنة كما تعلم منه أموراً أخرى مما يعيد للشيخ قوة الشباب وكانت نتيجة اتصاله به توثيق عرى الحب بابنة التاجر

وقد أخذ صاحب الثوب الأسود القذر يتكلم مع السفير بطلاقة محاولاً التأثير عليه ليدفع التعويض عن الحلاق، بحسماً من أمر جريمة الاغراء والتخلى عن الزواج. فقال السفير: «أقسم أن هذا المطالب أسمج من أى رجل رأيته فى هذه البلاد» ثم نادى الحلاق ولعن أباه وسأله عن وعده بالزواج فاعترف أنه تزوج من الفتاة زواج المتعة لمدة شهرين وفق الاتفاق بينهما وأنه لم يعدها بالزواج الدائم ولم يخدعها، وقال إن زواج المتعة شائع فى فارس وإن الفتاة فهمت ما يريده قبل أن يعاشرها معاشرة الأزواج وأقسم على ذلك أغلظ الايمان

وعند ذلك أخذ الأب وابنته ووكيل الأشغال يتكلمون فى وقت واحد وأصبحت الضجة عظيمة.

وكان من حسن حظنا أن أقبل المترجم فى هذه اللحظة فأشار بكبرياء إلى وكيل الأشغال بالانصراف. وكانت إشارته بكبرياء كما يفعل المظيم فى فارس عند ما يريد أن يطرد رجلاً حقيراً.

وقد سكت الثلاثة وبهتوا عند رؤية هذا المترجم. وظهر أنهم مهوشون فقط. ولما أمرهم المترجم بالذهاب أو يدعو البوليس ذهبوا صامتين صاغرين.

ووكيل الأشغال عند الانكليز يعادل المأذون عندنا. ولكن عمله ليس قاصراً على التدخل فى الزواج بل هو يتدخل فى كل شىء.

قال السفير: «ألا عدل فى هذه البلاد؟ أكل من عنده فتاة بائرة يستغنى عن سمعتها فى استطاعته أن يطالب الناس بالتعويض؟» فقال المترجم ان إخلاف

المواعيد فى أمور الزواج من الأمور الخطيرة فى هذه البلاد فان قوانينا تحمى المرأة »

قال السفير : « ليس فى بلادنا امرأة تبلغ بها الوقاحة أن تطالب رجلاً بالزواج منها على غير رغبته ومتى دخلت المرأة فى بيت الزوج أصبحت له وحده وتظل كذلك حتى يصير فى غنى عنها فيطلقها أو حتى يموت »

فلم يجبه المترجم

ولما تخلصنا من هؤلاء الأشرار جاء الخياط يطلب أجرة تفصيل الثياب . وجاء بائع الأحذية وبائع القمصان، وكل منهم بدون استثناء يحمل قطعة من الورق دوّن فيها حسابه . وقد تدخل السفير بيننا وبينهم وأفهمهم عوائدنا وخفف من حدتهم . وانتهى الأمر إلى أن تنازلوا على كره عن بعض مطالبهم ودفعنا لهم الباقى . وفى النهاية جاء رجل وجيه وطالبنا بمطلب غريب وقال لنا كلاماً أغرب . قال إن خيولنا كانت تأكل من الحشيش فى المراعى القريبة وإنه يريد ثمن الحشيش الذي أكلته من يوم مجيئنا إلى الآن. ونحن ما كنا نعلم أن للحشيش ثمناً في غير هذه البلاد

سأله السفير هل هو مندوب عن الحكومة يطلب ضريبة عن الخيول أم ماذا ؟ وأفهمه أن السفراء معفون من الضرائب . ولكن يظهر أن الرجل مندوب عن هيئة أكبر من الحكومة فقد كان يقول إن « الأوصياء أمروا بهذا » والأوصياء أمروا بذلك » فصاح السفير: « أنا لا أعرف ملكا فى هذه البلاد غير جورج شاه ولم أسمع عن ملوك اسمهم « الأوصياء »

ولكن يظهر أن خوف هذا الرجل الوجيه كان خوفاً شديداً فقد قال لنا إنه سيدفع ثمن الحشيش من جيبه إذا نحن لم ندفعه . ولما استشرنا المترجم أشار بأن ندفع ماطلبه فدفعناه، وأفهمنا أن الأرض الخلاء ليست مجردة من المالك كما هى الحال فى فارس وأن الملاك لها هم الذين يسميهم الأوصياء

الفصل الخمسون

حبيبة حاجى بابا تتزوج

أعدت سفينة لتحملنا من لوندره إلى الآستانة وجمعنا ثيابنا وتهيأنا للرحيل ، وعزمت قبل الذهاب على أن أزود عينى بنظرة من حبيبتى بيسى وتتسامح على ما عسى أن يكون فى نفس كل منا من جهة الآخر .

وأهدى إلينا شاه الانكليز بمناسبة سفرنا هدايا ثمينة . واشتريت ثياباً جديدة فصرت جديراً بأن يكتب لقب ميرزا بعد اسمى بدل كتابته قبله فسرنى أن أزور بيت المستر هوج بهذه الثياب

فلما وصلت إلى المنزل وجدت عربات كثيرة واقفة أمام الباب . وهذا منظر لم أعهده فى بلاد الانكليز فسألت البواب عنه فقال إن اليوم يوم زواج الآنسة بيسى

عند ذلك أحسست بأن الدم يتصاعد إلى وجهى وخفق قلبى خفوقاً عالياً ، وكنت على وشك المودة فى الحال. ولكن امرأة أطلت من النافذة وصاحت: « هذا هو الأمير! » ثم رأيت من يخرج من الباب على عجل فيدعونى . فدخلت غرفة فيها جمع كبير فى

أحسن الثياب والحلى ، ولكن الحزن مرتسم على وجوههم . وكانت بيسى جالسة بين أختيها وحولهن الفتيات . وكلهن فى ثياب بيضاء . ولكن عيني العروس كانتا تدمعان وكانت الكآبة متجلية عليها بأوضح الأشكال

وكان على رأس بيسى قطعة من الشريط يتدلى منها ما يسميه الانكليز نقاباً وما هو بنقاب لأنه لا يستر شيئاً من الوجه كما أن ثيابهم لا تستر شيئاً من أجزاء الجسم

وقد دهشت من مظاهر حزنها وكيف يتفق أن يكون الحزن من علامات الفرح . ثم أخبرتنى الأم همساً بتاريخ هذه الزيجة وقالت إن بيسي تحسن الغناء وإنها ستكون صالحة وإنها ستكون غنية

قلت : « ولكن لماذا تبكى ؟ » فقالت : « إن ذلك من السخافات التى اعتادتها الفتيات إظهاراً لتأثرها من مفارقتنا لأنهـا بالطبع لا تستطيع أن تجمع بيننا وبين زوجها

قلت : « وأين هو هذا الزوج ؟ »

و كنت أتوقع بالطبع أن يكون هو ذلك الرجل ذا المهماز والشارب القصير الذى كان ينافسنى فى الحب ، فقالت لى الأم إن العادة جرت فى هذه البلاد أن يتقابل العروسان فى الكنيسة . ودعتنى إلى الذهاب لحضور حفلة العرس فى ذلك المعبد . فقبلت لأنى كنت مرغماً على الاقلاع عن كل أمل فى الزواج منها . ورأيت من واجب اللياقة أن أعرب لها عن أملى فى أن تعيش سعيدة وأن يقيها الله من عيون الحساد ويكثر من ثيابها وطعامها ويجعل ساعة زواجها ساعة ميمونة

ولما قلت ذلك وفقاً لعادات بلادنا وضعت فى يدها جنيهاً ذهبياً وقبلتها من بين عينيها ، فانزعج الموجودون وقالت الأم : « ما هذا يا سمو الأمير ؟ ألا ترى يا مستر هوج ؟ »

فأقبل المستر هوج وقال بلهجة بين الجد والسخرية : « أراك يا سمو الأمير عنيفاً فى مطاردة السيدات »

قلت بلهجة جدية : « لماذا ؟ هذه عوائد بلادنا ندفع المال ونُقبِّل . . . »

فجاءت مارى بالقطعة الذهبية من يد أختها وردتها إلىّ قائلة : « إن هذا عمل غير لائق فى هذه المناسبة »

فاحمرت أذناى وقلت بأعلى صوتى : « هـذه عوائد بلادنا ، إن الذهب إشارة إلى السعادة . وفى بلادنا نعطي العروس ذهباً ونقبلها لتكون سعيدة محبوبة . وإن الشاه يفعل ذلك وهى عادة جميلة »

فلما فهموا ذلك أسفوا على إساءتهم فهم الحقيقة واعتذروا إلىّ وشكرونى على حسن نيتى . واحتفظت بيسى بالجنيه وشكرتنى على أن تمنيت لها السعادة

وجاءت ساعة الذهاب إلى الكنيسة وهممنا بالذهاب وكنت أتوقع أن أرى العروس تقبل جدران منزلها وأرضه كما تفعل المرأة الفارسية . ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك . وسألت الأم عن ذلك فابتسمت ولم تجبنى لأن الوقت كان وقت استعجال وحركة . ثم وجدت نفسى فى عربة فخمة بين عربات كثيرة . ومشى بنا الموكب إلى الكنيسة . وقد بحثت فيها سدى عن منافسى ذى المهماز والشارب القصير . ولكننى لم أجده . وطلبت إلى الأم أن تقدمنى للزوج فنادت : « يا مستر فجبي ! يا مستر فجبي . تعال أعرفك بسمو الأمير »

فجاء رجل غليظ الجسم هو البدال اليهودى الذى تغدينا فى منزله . وقالت زوجة المستر هوج اللئيمة : « هذا هو سمو الأمير (حاجى باربار) وهى توهم أنها تقول حاجى بابا . وإنما نطقت الإسم بهذا الشكل لأن كلمة (بار بار) باللغة الانكليزية معناها الحلاق

وقد تظاهرت بأنى لم أفهم مرماها كما لو كنت سمعت اسمي على حقيقته . وقلت فى نفسى إن هؤلاء اللئام يرفضون أن يزوجوا بنتهم من مسلم شاب جميل مثلى ثم يزوجوها من ذلك البدال اليهودى الهرم القبيح الشكل لأجل ماله ! سحقاً لهم وللمال الذى يعبدونه ! إن الانكليز أقبح جنس فى الوجود فهم من أجل المال يتزوجون ومن أجله يحاربون . ومن أجله يعقدون الصلح . ومن أجله يشيدون الأساطيل . ثم أحسست بأن دمى يغلى فى عروقى . ونظرت إلى العروس نظرتى الأخيرة فأدركت علة حزنها وبكائها فإنها كانت تبكى على نفسها لحرمانها منى وعلى بيع أهلها إياها بالمال .

وجاء القسيس فعقد زواجها . ولكننى لم أصغ إليه لأنى كنت مشغول الخاطر . ولم أتنبه إلا عندما قدمت كأس من الخمر إلى بيسى فشربتها واضطربت ومالت فأسندتها أختها مارى . وانزعج كل الموجودين . وثارت ثورة غضبى وحزنى على هذه الضحية فقلت فى نفسى : مالى ولهؤلاء الانكليز والبدالين واليهود وكلهم فى قرارة جهنم

ثم أملت عما متى على جانب واحد وفتلت طرفى شاربى ورفعتهما إلى الأعلى وخرجت من الكنيسة دون أن أصافح أحداً من هؤلاء الكفار

(يتبع) عبد اللطيف النشار

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠	السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠	كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧